وردة في مرمى البندقية

تأليف

الدكتور محمد كمال عرفة الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقيه والمؤلف القانوني والمحاضر الدولي في القانون

حقوق الملكية الفكرية

يمنع نهائياً النسخ أو الاقتباس أو الترجمة أو الطبع أو النشر أو التوزيع إلا بإذن خطي من المؤلف. جميع الحقوق محفوظة للطبعة الأولى.

إهداء

إلى روح أمي الطاهرة وأبي الطاهر، اللذين غرسا في روحي بذور العدالة قبل أن أعرف معنى الظلم، أدام الله لهما النور في قبورهما وجعل مثواهما فردوساً من الجنان.

وإلى ابنتي الحبيبة صبرينال المصرية الجزائرية، يا من تمثلين الأمل في بناء مجتمع يسوده الحق والرخاء، أهديك هذا الكتاب ليكون منهجاً يضيء لك دروب المسؤولية والقيادة، وليذكرك دائماً بأن الحب هو القوة الوحيدة التي تنتصر على كل الحروب.

فهرس المحتويات

الإهداء

حقوق الملكية الفكرية

كلمة المؤلف

الفصل الأول سيمفونية الرصاص

الفصل الثاني ظلان في وادي الموت

الفصل الثالث لغة العيون حين تصمت المدافع

الفصل الرابع الرسالة المخبأة في الخبز

الفصل الخامس نهر الفاصل

الفصل السادس همسات تحت قمر مدمى

الفصل السابع اسمك على شفتي قبل الرصاصة

الفصل الثامن خيانة الزي العسكري

الفصل التاسع الغرفة رقم سبعة

الفصل العاشر محاكمة الضمير

الفصل الحادي عشر الهروب عبر الجحيم

الفصل الثاني عشر عاصفة الثلج الحمراء

الفصل الثالث عشر الجرح الذي لا يندمل

الفصل الرابع عشر وعد تحت الأنقاض

الفصل الخامس عشر طائر محطم الجناحين

الفصل السادس عشر المدينة المحترقة

الفصل السابع عشر آخر رسالة حب

الفصل الثامن عشر الهدنة المؤقتة

الفصل التاسع عشر الوردة الأخيرة

الفصل العشرون سلام من فوق الغيوم

الخاتمة

بيانات المؤلف

كلمة المؤلف

أيها القارئ،

الحرب آلة مجنونة تطحن كل شيء في طريقها، إلا أنها تعجز عن طحن بذرة حب سقطت في شق من صخرتها. هذه الرواية ليست مجرد قصة خيال، بل هي صرخة إنسانية ضد عبثية الصراع. إنها محاولة لرسم لوحة جمالية بلغة راقية، حيث يتعانق القدر مع الإرادة، وتتصارع الواجبات الوطنية مع ندائات القلب. أرجو أن تجدوا في هذه الصفحات ما يرقق القلوب القاسية، ويوقظ في النفوس اليقين بأن الإنسانية أسمى من أي علم دولة.

دكتور محمد كمال عرفة الرخاوي

الفصل الأول سيمفونية الرصاص

كانت السماء فوق وادي أزور تلوح بلون الرصاص الداكن، وكأنها تئن من ثقل الدخان المتصاعد من الأرض المحروقة. لم تكن تلك المعركة مجرد اشتباك عابر بين جيوش دولتين متعاديتين، بل كانت ملحمة دموية كتبتها أقلام القدر بحبر من نار. وفي خضم هذا الجحيم، كان الملازم أول أحمد، ضابط الاستخبارات في جيش الدولة الشرقية، يقف مختبئاً خلف جدار مهدم لمنزل قديم، تتناثر حوله أشلاء الذكريات وحطام الأحلام.

كان أحمد رجلاً في الثلاثين من عمره، وسيم الملامح، حاد النظرات، لكن عينيه كانتا تحملان عمقاً من الحزن يفوق سنينه. لقد رأى الموت وجهاً لوجه مرات عديدة، لكنه لم يعتد عليه يوماً. كانت بندقيته

باردة في يديه، لكن قلبه كان يغلي بصراع داخلي لم يفهمه أحد. في تلك اللحظة بالذات، بينما كانت قذائف الهاون تمزق الصمت الرهيب، سمع صوتاً مختلفاً. لم يكن صوت انفجار، ولا صرخة ألم، بل كان لحناً هادئاً يتسلل عبر فتحات الجدار المنهار.

كانت فتاة تعزف على بيانو محطم في منزل مجاور، منزلاً يقع في المنطقة الرمادية بين الخطوط الأمامية للجيشين. كيف تجرؤ على العزف وسط هذا العبث؟ تساءل أحمد في نفسه، وقد اندهش من الجرأة التي تتحدى الموت. اقترب بحذر، متجنباً نطاق القناصة، حتى استطاع أن يراها من خلال شق في الجدار. كانت ترتدي فستاناً أبيض ملطخاً بالغبار، وشعرها الأسود الطويل ينسدل على كتفيها كشلال من الليل. كانت تعزف مقطوعة حزينة، وكأنها تودع روح المكان قبل أن تلتهمه النيران.

في تلك اللحظة، توقف الزمن. توقف إطلاق النار في عقل أحمد، واختفت أصوات الانفجارات. لم يعد يرى

عدواً، بل رأى ملاكاً يحاول إنقاذ ما تبقى من الجمال في عالم فقد عقله. التقطت عيناها نظراته فجأة، ولم ترتعب كما توقع. بل ابتسمت ابتسامة باهتة، ثم أكملت عزفها. كانت تلك الابتسامة هي الرصاصة الأولى التي اخترقت درع أحمد الحديدي، لتستقر في أعماق قلبه، وتبدأ قصة مستحيلة في أرض المستحيلات.

الفصل الثاني ظلان في وادي الموت

بعد أن انتهت المقطوعة الموسيقية، ساد صمت ثقيل أثقل من ضجيج الحرب. نظرت الفتاة إلى أحمد طويلاً، وكأنها تقرأ في ملامحه تاريخاً من الألم والشوق. ثم وقفت ببطء، ومسحت الغبار عن فستانها الأبيض، واقتربت من الشق في الجدار الذي يختبئ وراءه الجندي. لم تكن تحمل سلاحاً، بل كانت تحمل في يدها وردة برية صغيرة، نبتت بشق الأنفس بين الركام.

مدت يدها عبر الشق، وقدمت له الوردة. قال أحمد بصوت مبحوح ألا تخافين؟ أنا جندي من الجيش المعادي. ردت الفتاة بصوت ناعم كالحرير، لكن فيه قوة الحديد الموت لا يميز بين زي عسكري وآخر، سيدي الجندي. والوردة لا تعرف حدود الدول. كانت كلماتها تنطق بلغة عربية فصيحة راقية، تخلو من لكنة العداء، وتملؤها إنسانية طاغية.

عرف أحمد حينها أنها منى، ابنة الطبيب الشهير في المدينة المحتلة، والتي اشتهرت بعلاجها للجرحى من الطرفين دون تمييز. كانت منى تعيش في عالمها الخاص، عالم الفن والإنسانية، بينما كان أحمد أسيراً في عالم الواقع المرير، عالم الأوامر والقتال. نظر إلى الوردة في يده، ثم إلى عينيها الزرقاوين اللتين تشعان بنور غريب وسط هذا الظلام الدامس.

قال لها اسمي أحمد، وأنا مفترض أن أقبض عليك أو أقتلك حسب قوانين الحرب. ضحكت منى ضحكة خفيفة محزنة القوانين يا أحمد صنعها البشر ليبرروا

وحشيتهم. لكن القلب له قانونه الخاص، وهو لا يعترف بالحدود. في تلك اللحظات القصيرة، نسيا أنهما ينتميان إلى معسكرين متحاربين. أصبحا مجرد روحين تائهتين تبحثان عن الدفء في برد الشتاء القارس. لكن صوت صفارة الإنذار قطع حلمهما، وعاد واقع الحرب ليفرض نفسه بقسوة. أشار أحمد إليها بالاختباء، ثم اختفى في الظلال، حاملاً الوردة ككنز ثمين، ومحملاً بعبء حب بدأ يزهر في أرض يباب.

الفصل الثالث لغة العيون حين تصمت المدافع

مرت الأيام، وتحولت الأسابيع إلى أشهر، والحرب تشتد ضراوة حول وادي أزور. كان أحمد ومنى يلتقيان سراً في ذلك المنزل المهدم، في أوقات محددة عندما يخيم الهدوء المؤقت على الجبهة. لم يحتاجا إلى كلمات كثيرة للتفاهم، فقد أصبحت لغة العيون بينهما أكثر بلاغة من أي قصيدة غزل. كانت نظرات أحمد تحمل شوقاً مكبوتاً وخوفاً من فقدانها، بينما كانت نظرات منى تحمل أملاً في نهاية هذا الكابوس، وثقة

بأن الحب سينتصر في النهاية.

في إحدى الليالي المقمرة، جلسا على أنقاض الدرج الحجري، ينظران إلى القمر الذي يبدو وكأنه يشهد على مأساتهما بوجه باكي. قالت منى أتعلم يا أحمد، لماذا نستمر في العزف رغم أن الجميع يهرب؟ أجابها وهو يمسك بيدها المرتجفة لأن الموسيقى هي السلاح الوحيد الذي لا يقتل، بل يحيي. هزت رأسها قائلة بل لأنها تذكرنا بأننا بشر، قبل أن نكون جنوداً أو ضحايا. حين أعزف، أنسى أنني في دولة معادية، وأنسى أنك عدو محتمل. أرى فقط رجلاً يحب الحياة كما أحبها أنا.

شعر أحمد بدمعة ساخنة تنزل على خده، للمرة الأولى منذ سنوات لم يبكِ فيها. ضمها إليه بحنان، وهمس في أذنها أعدك يا منى، إذا نجونا من هذا الجحيم، سأخذك إلى مكان لا توجد فيه حدود، ولا جيوش، ولا بنادق. فقط نحن والطبيعة والصمت. لكنها ابتعدت عنه قليلاً، ونظرت إليه بجدية النجاة يا أحمد

ليست مضمونة في هذا العالم المجنون. لكن الوعد يبقى، حتى لو كتب على شاهد قبر.

كان حديثهما مقاطعاً بانفجار قريب، اهتزت له الأرض تحت أقدامهم. تبادلا نظرة وداع سريعة، مليئة بالألم والخوف من أن تكون الأخيرة. ركض كل منهما نحو اتجاهه، عائداً إلى واقعه المرير. عاد أحمد إلى ثكنته العسكرية، يحمل في صدره نار الشوق، وعادت منى إلى منزلها، تحمل في قلبها خوفاً من غدٍ مجهول. لكن شيئاً قد تغير في داخلهما؛ فلم يعودا وحدهما في هذه الحرب، فأصبح لكل منهما سبب للبقاء، وسبب للأمل.

الفصل الرابع الرسالة المخبأة في الخبز

اشتد الحصار على المدينة التي تقطنها منى، وبدأت المؤن تنضب، وانتشر الجوع بين السكان. كان أحمد يتابع أخبار المنطقة من خلال تقارير الاستخبارات،

وقلبه ينفطر ألماً على معاناة منى وأهلها. قرر أن يفعل شيئاً، مهما كلفه الأمر من مخاطر. في ليلة مظلمة، تسلل أحمد بخطوات خفيفة عبر الخطوط الأمامية، حاملاً حقيبة صغيرة تحتوي على بعض المواد الغذائية والأدوية، وفي قاعها رسالة مكتوبة بخط يده الرقيق.

وصل إلى نقطة التبادل السرية بالقرب من النهر، ووضع الحقيبة في مكان متفق عليه سابقاً. في الصباح الباكر، وجدت منى الحقيبة، وحين فتحتها، دمعت عيناها. وجدت خبزاً طازجاً، وبعض الضمادات، ورسالة تقول يا وردتي الوحيدة في صحراء الحرب، هذا القليل لا يساوي شيئاً مقارنة بما تستحقين، لكنه كل ما أملك. تذكري دائماً أن هناك قلباً ينبض باسمك خلف خطوط العدو. احفظي نفسك من أجلي، فالأمل هو سلاحنا الأخير. أحمد.

قرأت منى الرسالة مراراً وتكراراً، وكأن كلماتها تمنحها قوة جديدة لمواجهة قسوة الواقع. قررت أن ترد عليه،

فكتبت على ورقة موسيقية قديمة يا حارس أحلامي، طعام الجسد يشبع لبضع ساعات، لكن طعام الروح الذي تقدمه لي يشبع للأبد. لا تخاطر بحياتك من أجلي، فحياتي بدونك لا تساوي شيئاً. انتظرني، فسأجد طريقة لنعبر هذا النهر يوماً ما. منى.

أخفت الرسالة داخل رغيف خبز، وعادت إلى نقطة التبادل في الليلة التالية. حين وجد أحمد الرسالة، شعر وكأنه يمسك بجوهرة نادرة. قرأها تحت ضوء القمر، وقبل الورقة بحنان. في تلك اللحظة، أدرك أن حبهما قد تجاوز حدود الجغرافيا والسياسة، وأصبح قوة خفية تربط بينهما بخيط من نور لا تستطيع قذائف المدفعية قطعه. كان هذا التبادل الصامت للرسائل هو شريان الحياة الذي يبقيهما على قيد الحياة وسط بحر من الموت.

الفصل الخامس نهر الفاصل

كان النهر الذي يفصل بين المنطقتين الخاضعتين للسيطرة العسكرية للدولتين المتعاديتين، شاهداً صامتاً على مآسي كثيرة. مياهه الجارية كانت تحمل معها دماء الشهداء وأحلام المحبين المبعثرة. بالنسبة لأحمد ومنى، كان النهر ليس مجرد حاجز مائي، بل كان رمزاً للفجوة العميقة التي تفصل بين عالميهما. كانا يحلمان بيوم يعبران فيه هذا النهر معاً، لكن الواقع كان يقول إن عبوره يعني الموت المحقق.

في أحد الأيام، تلقى أحمد أمراً من قيادته بنسف الجسر القديم الذي يربط بين الضفتين، لمنع توغل قوات العدو. شعر أحمد وكأن الأرض تدور به. ذلك الجسر كان المكان الذي اتفقا فيه على اللقاء مرة واحدة فقط، قبل أن تشتد وطأة الحرب. حاول أحمد الاعتراض على الأمر، مدعياً أن النسف قد يؤثر على إمدادات المياه للمدنيين، لكن قائده رفض اعتراضه بغضب، وأمر بتنفيذ العملية فوراً.

وقف أحمد أمام الجسر، والقنابل المتفجرة موضوعة

بعناية هندسية دقيقة. نظر إلى الضفة الأخرى، وتخيل منى وهي تقف هناك، تنتظره. شعور بالعجز اجتاحه، وشعر بأنه يخونها مرتين؛ مرة بزيه العسكري، ومرة بعدم قدرته على حمايتها من تبعات قرارات الحرب. في اللحظة الأخيرة، قبل تفجير الجسر، أخذ أحمد ورقة صغيرة من جيبه، وربطها بحجر، وألقاها في النهر لتطفو نحو الضفة الأخرى. كانت رسالة صامتة يقول فيها الجسر سيسقط، لكن حبنا سيبني جسوراً في السماء.

حين انفجر الجسر، ارتفعت سحابة من الدخان والغبار، وسقطت الكتلة الخرسانية في المياه بعنف، مما أحدث موجات عاتية. بكى أحمد بصمت، وهو يرى الحلم يتحطم أمام عينيه. وفي الضفة الأخرى، رأت منى الانفجار، وفهمت الرسالة. سقطت على ركبتيها تبكي، لكنها رفعت رأسها نحو السماء وقالت لا يهم يا أحمد، فالحب لا يحتاج إلى جسور من حجر، بل يحتاج إلى قلوب من فولاذ. كان النهر قد فاز بمعركته تلك، لكن الحرب في قلوب المحبين كانت لا تزال مستعرة، وأكثر ضراوة من أي وقت مضى.

الفصل السادس همسات تحت قمر مدمى

كان القمر في تلك الليلة يبدو وكأنه مصاب بجرح عميق، يلوح بلون أحمر داكن، كأنه يعكس الدماء التي سفكت على الأرض. تحت هذا الضوء الكئيب، قرر أحمد المخاطرة مرة أخرى والاقتراب من خطوط التماس، على أمل رؤية منى ولو من بعيد. كانت الأخبار تصله بأن قوات العدو تشن هجوماً واسعاً، وأن المنطقة التي تسكنها منى أصبحت في مرمى النيران المباشر.

زحف أحمد على بطنه بين الحفر والأنقاض، متجنباً كشافات البحث والدوريات المتحركة. كلما اقترب من الهدف، زادت كثافة إطلاق النار. وصل إلى موقعه المختار، وهو مبنى مهجور يطل على حي منى. من خلال منظاره، رأى المنازل تحترق، والناس يركضون في كل اتجاه بحثاً عن ملاذ آمن. قلبه توقف حين لم يرَ

منى في المكان المعتاد. هل أصيبت؟ هل غادرت؟ أسئلة ملحة دارت في ذهنه، وكاد جنونه يطغى عليه.

فجأة، سمع صوتاً خافتاً يأتي من سرداب مهجور قريب. تسلل نحو الصوت، ووجد منى تجلس بجانب جريح من جنود دولتها، تضمده بجراح. كان وجهها شاحباً، وملابسها ممزقة، لكن عينيها كانتا ثابتتين ومليئتين بالعزيمة. حين رأته، لم تظهر مفاجأة، بل ابتسمت ابتسامة متعبة. قال لها هامساً لماذا لا تهربين؟ هذا المكان سيكون مقبرة للجميع. ردت وهي تواصل تضميد الجريح لا أستطيع تركهم يا أحمد. الموت هنا أفضل من الهروب وترك الجرحى مصيرهم مجهول.

جلس أحمد بجانبها، وساعدها في العناية بالجرحى طوال الليل. في تلك الساعات القليلة، لم يكونا حبيبين فقط، بل كانا شريكين في الإنسانية. كانا يمثلان الوجه الآخر للحرب، الوجه الذي يرفض القتل ويصر على الحياة. حين بزغ الفجر، اضطر أحمد للرحيل قبل أن يكتشفه أحد. قبل أن يغادر، نظرت إليه منى

وقالت إذا مت اليوم، فاعلمي أنني مت وفية لك ولإنسانيتي. رد عليها بصوت مخنوق بالبكاء لن تموتي يا منى، فأنا سأجعل من مستحيل البقاء ممكناً من أجلك. وغاب في الضباب، تاركاً وراءه وعداً ثقيلاً، وقلباً معلقاً بين الحياة والموت.

الفصل السابع اسمك على شفتي قبل الرصاصة

تصاعدت وتيرة العمليات العسكرية، وأصبحت المعارك اليومية دامية وغير متكافئة. كلف أحمد بقيادة كتيبة خاصة لمهمة انتحارية تهدف إلى اختراق خطوط العدو والاستيلاء على نقطة استراتيجية عالية الأهمية. كان يعلم جيداً أن فرص النجاة من هذه المهمة شبه معدومة، لكنه قبلها دون تردد. لم يكن حماسه نابعاً من الرغبة في النصر العسكري، بل من أمل خفي بأن يكون هذا الاختراق قريباً من منطقة سكن منى، ربما يتمكن من رؤيتها للمرة الأخيرة، أو حتى إنقاذها إذا سنحت الفرصة.

قبل الانطلاق في المهمة، كتب أحمد رسالة وداع قصيرة على قطعة من ورق السجائر، ووضعها في جيب قميصه، قرب قلبه مباشرة. كتب فيها يا منى، إذا قرأت هذه الكلمات، فاعلمي أنني قد رحلت. لا تبكي علي، فموتي في سبلك وفي سبيل الأمل بلقائك هو أشرف نهاية لجندي مثلي. اسمك هو آخر ما سيتمتم به لساني، وصورتك هي آخر ما ستراه عيناي. أحبي الحياة من أجلي، ولا تدعي للحرب أن تسرق ابتسامتك. إلى الأبد، أحمد.

انطلقت الكتيبة تحت وابل من النيران، وكان الموت يحصد الأرواح واحداً تلو الآخر. كان أحمد يقاتل ببسالة منقطعة النظير، وكأنه لا يخشى الموت، بل يستعجله. في خضم الاشتباك العنيف، أصيب أحمد برصاصة في كتفه، ثم أخرى في فخذه، لكنه استمر في التقدم. وصل إلى المبنى المستهدف، ورفع العلم، لكنه سقط منهكاً على الأرض.

بينما كانت أنفاسه تزداد صعوبة، والرؤية تغيب عن عينيه، همس باسمها منى. تذكر وجهها، تذكر ابتسامتها، تذكر نغمات البيانو. شعور بالسلام غمره، رغم الألم الجسدي الشديد. أغلق عينيه، وهو يعتقد أن هذه هي النهاية. لكن القدر كان لديه خطة أخرى، فالرصاصة التي كانت موجهة لقلبه اصطدمت بالرسالة المطوية في جيبه، مما خفف من قوة اختراقها وأنقذت حياته بأعجوبة. استلقى أحمد فاقداً للوعي، بينما كانت المعركة تدور حوله، واسم منى هو التعويذة التي أبقت نبض قلبه مستمراً.

الفصل الثامن خيانة الزي العسكري

استيقظ أحمد في مستشفى ميداني تابع لجيشه، ليجد نفسه مقيداً بسريره، ومحاطاً بوجوه غاضبة من ضباط الاستخبارات. لم يمت، لكن ثمن بقائه كان غالياً. اكتشف قادته الرسائل المتبادلة بينه وبين منى، واعتبروها خيانة عظمى للتقاليد العسكرية ولأمن الدولة. وجهت إليه تهمة التواصل مع العدو،

والتعاطف مع الطرف المعادي، وهي تهم قد تؤدي إلى الإعدام رمياً بالرصاص.

مثل أحمد أمام محكمة عسكرية عاجلة، في قاعة باردة تخلو من أي مظاهر للعدالة. كان المدعي العام يصرخ متحدثاً عن واجب الجندي وخطورة التساهل مع العدو. لكن أحمد كان هادئاً بشكل ملفت للنظر. حين جاء دوره للكلام، وقف بصعوبة بسبب جراحه، ونظر إلى أعضاء المحكمة بعينين ثابتتين. قال أيها السادة، أنا لم أخن وطني، بل خنت فكرة الحرب نفسها. أنا لم أتواصل مع عدو، بل تواصلت مع إنسانة تحب الحياة كما أحبها أنا. إذا كان حبي لإنسانة من الطرف الآخر جريمة، فأنا مذنب بكل سرور. لكن إذا كان واجبي يقتلني أن أقتل بريئاً أو أن أتنكر لإنسانيتي، فأنا أرفض هذا الواجب.

حاول محاميه الدفاع عنه، مؤكداً على سجله الحافل بالشجاعة والإخلاص، لكن الحكم كان مقدراً سلفاً في زمن الحرب. حكم على أحمد بالإعدام شنقاً،

لتنفيذ الحكم بعد ثلاثة أيام. نقل الخبر بسرعة البرق عبر الخطوط، ووصل إلى مسامع منى عبر شبكة من المقاومين والمتعاطفين. شعرت منى وكأن العالم ينهار فوق رأسها. لم تعد الموسيقى تعني لها شيئاً، ولم يعد للحياة طعم. قررت أن تفعل شيئاً مجنوناً، شيئاً قد يكلفها حياتها، لكنه السبيل الوحيد لإنقاذ حبيبها. بدأت تخطط للهروب من منطقتها، والعبور نحو خطوط العدو، في محاولة يائسة للوصول إليه قبل فوات الأوان.

الفصل التاسع الغرفة رقم سبعة

نقل أحمد إلى زنزانة انفرادية في السجن المركزي، الغرفة رقم سبعة، بانتظار تنفيذ حكم الإعدام. كانت الغرفة مظلمة، رطبة، وتفوح منها رائحة العفن واليأس. كان أحمد يجلس في زاويتها، سجيناً مع أفكاره وذكرياته. لم يكن يخاف من الموت، بل كان يخاف من أن يموت دون أن يرى منى مرة أخيرة، ودون أن يعرف أنها بخير. كانت الساعات تمر ببطء شديد، وكل دقيقة تقتربه من نهايته المحتومة.

في الليلة الثانية من احتجازه، سمع صوت خطوات خفيفة خارج الزنزانة، ثم صوت مفتاح يدور في القفل. توقع أحمد أن يكون الجلاد قد جاء مبكراً، لكن الباب فتح ليدخل شخص غير متوقع. كانت امرأة ملثمة، ترتدي زي ممرضة، لكن عينيها كانتا مألوفتين جداً. نزعت القناع، فإذا بها منى. دهش أحمد من المفاجأة، وكاد لا يصدق عينيه. همس منى! ماذا تفعلين هنا؟ سيقتلونك!

ردت منى وهي تسرع لفك قيوده جئت لأخرجك من هنا يا أحمد. لا وقت للشرح. لقد رشوت الحارس، واستخدمت أوراقاً مزورة. علينا الهروب الآن. حاول أحمد مقاومتها، قائلاً هذا جنون، لن ننجو. اذهبي أنت وأنقذي نفسك. لكن منى أصرت، وقالت بعزم إما أن نهرب معاً، أو نموت معاً. لن أتركك هنا. نجحت في فك القيود، وخرجا من الزنزانة بحذر، يتسللان عبر الممرات المظلمة للسجن. كان الخطر يحيط بهما من كل جانب، فدوريات الحراس كانت تتجول باستمرار،

وأي خطأ بسيط قد يعني نهايتهما. لكن قوة الحب كانت تدفعهما للأمام، وتجعل المستحيل ممكناً.

الفصل العاشر محاكمة الضمير

بينما كان أحمد ومنى يتسللان خارج السجن، كانت المدينة تغلي بالفوضى. خبر هروب السجين الخطير والعشيقة المعادية انتشر كالنار في الهشيم، وشنت القوات الأمنية حملة واسعة للقبض عليهما. وجد الحبيبان نفسيهما مطاردَين في كل شارع وزقاق. اختبأا في بيت آمن لأحد أصدقاء منى القدامى، الذين كانوا يتعاطفون مع قضيتها. في ذلك البيت، جلسا يتحدثان لأول مرة بحرية تامة، بعيداً عن همسات الخوف وخطر الاكتشاف.

قال أحمد لمنى لماذا فعلت كل هذا يا منى؟ خاطرت بحياتك من أجل رجل أصبح مطلوباً للخيانة. نظرت إليه منى بعمق، وقالت لأن ضميري لم يكن ليرق لي لو

تركتك تموت ظالماً. الحرب قد تفرض علينا ارتداء أزياء مختلفة، وقد تجبرنا على حمل أسلحة متضادة، لكنها لا تملك سلطة على ضمائرنا. أنا لم أنقذك لأنك حبيبي فقط، بل لأنك رمز لكل من رفض أن يكون أداة قتل عمياء. محاكمتك كانت محاكمة للإنسانية كلها، وهروبنا هو انتصار للضمير على القانون الجائر.

شعر أحمد بالفخر والاعتزاز بهذه المرأة الرائعة. أدرك أن حبهما قد تحول إلى قضية أكبر منهما، قضية تتعلق بكرامة الإنسان وحقه في اختيار مصيره. قال لها إذا متنا اليوم، فسنموت ونحن نحمل رأسنا عالياً. لقد أثبتنا أن الحب أقوى من أي حكم إعدام. لكن الوقت لم يكن في صالحهما، فصوت سيارات الشرطة بدأ يقترب من البيت الآمن. عرفا أن الوقت قد حان للمرحلة الأصعب، مرحلة المواجهة المفتوحة أو الهروب المستحيل. نظر كل منهما في عين الآخر، واتفقا صامتاً على أن يكون المصير واحداً، مهما كانت النتيجة.

الفصل الحادي عشر الهروب عبر الجحيم

خرجا أحمد ومنى من البيت الآمن، ليجدا المدينة قد تحولت إلى جحيم حقيقي. كانت الشوارع مغلقة بالحواجز الخرسانية، ودوريات الجيش تجوب كل مكان. كان عليهما عبور المدينة للوصول إلى الضواحي، ومن ثم إلى المنطقة المحايدة حيث قد يجدان فرصة للنجاة. بدأت رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر، تشبه السير عبر وادي الموت. اختبأا في الأزقة الخلفية، وتسلقا الأسوار، وسبحا في قنوات الصرف الصحي هرباً من كشافات البحث.

في إحدى اللحظات، كادا يُكشفان عندما توقفت دورية عسكرية أمام المخبأ الذي يختبئان فيه. حبسا أنفاسهما، وتشابكت أيديهما بقوة، كل واحد منهما يستمد القوة من الآخر. مرت الدورية بسلام، وتنفسا الصعداء. لكن التحدي الأكبر كان أمامهما نهر المدينة الملوث، والذي يجب عبوره للوصول إلى الجانب الآخر. كان النهر مراقباً جيداً، والجسور مغلقة تماماً.

قرر أحمد السباحة تحت الماء، آملاً في عدم اكتشافهما. دخلا الماء البارد، وبدآ السباحة بصمت. كانت المياه عكرة، والتيار جارفاً. في منتصف النهر، بدأت قوة أحمد تنفد بسبب جراحه القديمة. شعرت منى بضعفه، فأمسكت به بقوة، وسحبته معها. قالت له هامسة تحت الماء لا تستسلم يا أحمد، نحن تقريباً هناك. بذلت كل جهدها لإنقاذه، حتى وصلا إلى الضفة الأخرى منهكين تماماً. خرجا من الماء، وانهارا على العشب، ينظران إلى السماء الملبدة بالغيوم. لقد نجحا في عبور الجحيم، لكن الطريق أمامهما كان لا يزال طويلاً ومجهولاً.

الفصل الثاني عشر عاصفة الثلج الحمراء

وصلا إلى منطقة جبلية نائية، تقع على الحدود بين الدولتين. كانت الطبيعة هناك قاسية، وعاصفة ثلجية شديدة بدأت تهب، تغطي كل شيء بطبقة سميكة

من البياض الناصع الذي سرعان ما تلطخ بدماء المقاتلين في المعارك القريبة. كان البرد قارساً، والملابس المبللة تزيد من معاناتهما. بحثا عن مأوى، ووجدا كهفاً صغيراً في سفح الجبل، فدخلا إليه للاحتماء من العاصفة.

في داخل الكهف، أشعل أحمد ناراً صغيرة من بعض الأغصان الجافة التي وجداها. جلسا متقاربَين ليتدفئا، وينظران إلى النار التي ترقص أمامهما. كانت العاصفة في الخارج تعوي مثل ذئب جائع، لكن داخل الكهف كان هناك هدوء غريب. قالت منى أتعتقد أننا سننجو يا أحمد؟ أجابها وهو يحتضنها طالما نحن معاً، فالنجاة ممكنة. الثلج قد يغطي آثارنا، والعاصفة قد تخفي أصواتنا. الله معنا في هذا الكهف الصغير.

في تلك الليلة، تحدثا عن أحلامهما للمستقبل. تحدثا عن منزل صغير على شاطئ البحر، بعيداً عن الحرب والضجيج. تحدثا عن أطفال سيلعبون في حديقة مليئة بالزهور، ولن يعرفوا يوماً طعم الرصاص. كانت هذه

الأحلام هي الوقود الذي يبقيهما دافئين في برد الشتاء القارس. لكن الواقع كان يطاردهما، ففي الصباح التالي، ظهرت مروحيات عسكرية تبحث عنهما في المنطقة. عرفا أن الوقت قد حان لاتخاذ قرار مصيري إما الاستسلام، أو المواجهة، أو محاولة التسلل أعمق في المنطقة المحايدة.

الفصل الثالث عشر الجرح الذي لا يندمل

أثناء محاولتهما التسلق عبر منحدر جبلي زلق لتفادي المروحيات، انزلق أحمد وسقط من ارتفاع متوسط، مما تسبب في إعادة فتح جرحه القديم في خاصرته بشكل خطير. تدفق الدم بغزارة، ولون الثلج الأبيض تحول إلى الأحمر القاني. حاولت منى إيقاف النزيف بقطع من ملابسها، لكن الجرح كان عميقاً وضعيفاً. شعر أحمد بدوار شديد، ووعيه بدأ يغيب.

حملت منى أحمد على ظهرها، وبدأت تسحبه بصعوبة

بالغة عبر الثلج. كانت كل خطوة مؤلمة لها وله، لكن إصرارها كان أقوى من التعب. قالت له تماسك يا أحمد، لا تنم الآن. يجب أن نجد طبيباً. رد أحمد بصوت ضعيف اتركيني يا منى، وأنقذي نفسك. أنت لا تستطيعين حملي أكثر من ذلك. صرخت فيه غاضبة لن أتركك أبداً. إذا مت، سأموت معك. استمرت في السحب، وتركت وراءها أثراً من الدم على الثلج الأبيض، كأغنية حزينة تروي قصة حب مأساوية.

بعد ساعات من المعاناة، وصلا إلى قرية حدودية صغيرة، يسكنها ناس بسطاء لا يهتمون بالصراعات السياسية. استقبلهم شيخ القرية، وهو رجل حكيم طاعن في السن، وقدم لهما المساعدة. عالج جرح أحمد بأعشاب محلية، وأطعمهما وسقاهما. قال لهما الشيخ الحرب تجعل الناس عمياناً، لكن الحب يعيد إليهم البصر. أنتما محظوظان لأنكما وجدتما بعضكما في هذا العالم المجنون. مكثا في القرية عدة أيام حتى استعاد أحمد بعضاً من قوته، لكنهما عرفا أنهما لا يستطيعان البقاء هناك طويلاً، فالجيش يبحث عنهما في كل مكان. كان الجرح قد اندمل جسدياً،

لكن الجرح في النفس بقي مفتوحاً، يذكرهما دائماً بهشاشة الحياة وقسوة القدر.

الفصل الرابع عشر وعد تحت الأنقاض

غادرا القرية، واتجها نحو منطقة محايدة تابعة للأمم المتحدة، حيث قد يجدان حماية دولية. لكن الطريق كان وعراً، ومليئاً بالألغام الأرضية والمخاطر. في أحد المناطق المدمرة بالكامل، وقفا أمام أنقاض مدرسة قديمة، كانت قد قصفت مؤخراً. رأى أحمد لعبة طفل صغيرة ملقاة بين الركام، فانتفض قلبه ألماً. قال لمنى انظري يا منى، هذا ما تفعله الحرب. تدمر المستقبل قبل أن يبدأ.

جلسا بين الأنقاض، وتعاهدا على عهد مقدس. قال أحمد أعدك يا منى، إذا خرجنا من هذا الجحيم أحياء، سأكرس حياتي للعمل من أجل السلام. سأكون صوتاً لكل من فقدوا أحباءهم، وسأحارب بفكري وقلمي كما

قاتلت بسلاحي. وضعت منى يدها على يده، وقالت وأنا أعدك بأن أعزف موسيقى السلام في كل مكان، وأن أعلم الأطفال أن الحب هو اللغة الوحيدة التي يفهمها الكون كله. لن ندع هذا الدمار يذهب سدى.

كان الوعد تحت الأنقاض أثقل من أي عقد رسمي، لأنه كتب بدم القلب وأمل الناجين. نهضا وكملا طريقهما، وقد امتلأت قلوبهما بتصميم جديد. لم يعودا يهربان فقط من الموت، بل يركضان نحو حياة جديدة، حياة يبنِيانها بأيديهما على أساس من الحب والسلام. لكن القدر كان لا يزال يختبر إيمانهما، فالموت كان يترصدهما في كل خطوة.

الفصل الخامس عشر طائر محطم الجناحين

أثناء عبورهما لمنطقة ملغومة، انفجر لغم قريب منهما، مما أدى إلى إصابة منى بشظايا في ساقها، وفقدانها لكمية كبيرة من الدم. سقطت منى على الأرض،

وعجزت عن الحركة. شعر أحمد وكأن العالم قد توقف. حاول حملها، لكن إصابته هو أيضاً جعلت الحركة صعبة للغاية. وجدا نفسيهما عالقَين في منطقة مفتوحة، تحت وابل من قذائف المدفعية البعيدة.

احتضن أحمد منى، وحاول إيقاف النزيف. كانت منى تبتسم له برغم الألم، وتقول لا تحزن يا أحمد، لقد عشنا قصة حب رائعة، الكثيرين يموتون دون أن يحبوا أو يُحبوا. بكى أحمد بحرارة، وقال لن أموتك يا منى، سأحملك حتى آخر رمق في جسدي. بقيا هناك لساعات، ينتظران الموت أو النجاة. في تلك اللحظات الحرجة، شعرا بوجودهما الحقيقي، وبأن الروح أهم من الجسد.

فجأة، ظهرت طائرة هليكوبتر تابعة للأمم المتحدة، كانت تقوم بدورية إنسانية. رأت الطائرة الإشارة التي أشعلاها بصعوبة، وهبطت لإنقاذهما. نقلا على متن الطائرة، وتركا وراءهما أرض الحرب والجحيم. في الطائرة، بينما كان المسعفون يعالجهما، أمسك أحمد

بيد منى، وقال لقد نجونا يا حبيبتي. ابتسمت منى وقالت النجاح الحقيقي لم يكن في النجاة من الموت، بل في بقاء حبنا حياً حتى هذه اللحظة. كان الطائران المحطما الجناحين قد وجدا أخيراً عشاً آمناً، لكن الجروح كانت عميقة، والشفاء سيحتاج إلى وقت طويل.

الفصل السادس عشر المدينة المحترقة

نقلا إلى مستشفى دولي في مدينة محايدة، بعيدة عن مناطق القتال. كانت المدينة هادئة، والناس يعيشون حياتهم الطبيعية، مما شكل صدمة لأحمد ومنى بعد كل ما عاشاه. كانا ينظران من نافذة المستشفى إلى الشوارع المزدحمة، ويشعران بالغربة في هذا السلام. كيف يمكن للناس أن يضحكوا ويتسوقوا بينما هناك آخرون يموتون جوعاً ورصاصاً؟

بدأت عملية التعافي الجسدي، لكن التعافي النفسي

كان أصعب. كانت الكوابيس تطاردهما ليلاً، وأصوات الانفجارات لا تزال تتردد في آذانهما. كانا يجلسان معاً في حديقة المستشفى، ويتحدثان عن مستقبلهما. قرر أحمد تقديم استقالته من الجيش، ورفض العودة إلى أي عمل عسكري. كما قررت منى التوقف عن العزف مؤقتاً، حتى تستعيد روحها السلام الداخلي.

قال أحمد أشعر وكأننا ولدنا من جديد يا منى. لكن هذا الميلاد الجديد يحمل مسؤولية كبيرة. ردت منى نعم، مسؤوليتنا هي أن نخبر العالم بما رأيناه. أن نخبرهم أن الحرب ليست مجداً، بل هي كارثة. وأن الحب هو الحل الوحيد. بدأا يكتبان قصتهما، ويسجلان شهاداتهما، ليصبحا صوتاً للسلام في المحافل الدولية. كانت المدينة المحترقة في ذاكرتهما هي الدافع المستمر لعملهما، ولرسالتهما الجديدة للعالم.

الفصل السابع عشر آخر رسالة حب

قبل مغادرتهما المستشفى والبدء في رحلتهما الجديدة، كتب أحمد آخر رسالة حب لمنى. لم تكن رسالة وداع، بل رسالة بداية. كتب فيها يا منى، لقد انتهت حربنا الشخصية، لكن حربنا من أجل السلام قد بدأت للتو. كنت وردتي في مرمى البندقية، وأصبحت الآن نوراً في طريقي نحو مستقبل أفضل. لا أعدك بحياة خالية من المشاكل، لكن أعدك بأن أكون بجانبك في كل خطوة، كما كنت بجانبك في أحلك اللحظات. حبنا هو المعجزة التي أثبتت أن الإنسانية لا تزال بخير. أحبك أكثر من أي وقت مضى. أحمد.

قرأت منى الرسالة، ودمعت عيناها، لكنها كانت دموع فرح وامتنان. كتبت هي أيضاً رداً له يا أحمد، كنت أظن أن الحرب ستأخذ كل شيء، لكنها أعطتني أغلى ما في الوجود أنت. رسالتك هي موسيقاي الجديدة، وكلماتك هي ألحاني التي سأعزفها طوال حياتي. لنمش معاً نحو هذا المستقبل، ولنكن شمعة تضيء الظلام. أحبك إلى الأبد. منى.

تبادلا الرسالتين، وعانق كل منهما الآخر بقوة. كان هذا العناق يحتوي على كل المشاعر التي عاشاها الخوف، الأمل، الألم، والفرح. كانا مستعدين الآن لمواجهة العالم، ليس كضحايا، بل كفاعلين للتغيير. خرجا من المستشفى يداً بيد، يستقبلان الشمس المشرقة، ويتركان وراءهما ظلال الحرب إلى الأبد.

الفصل الثامن عشر الهدنة المؤقتة

بينما كان أحمد ومنى يبدآن حياتهما الجديدة، أعلنت الدولتان المتعاديتان عن هدنة مؤقتة برعاية دولية. كانت الأخبار تتحدث عن مفاوضات صعبة، وضغوط دولية هائلة لوقف إطلاق النار. سمع أحمد ومنى الخبر، وشعرا بأمل خفيف. هل يمكن أن يكون لتضحياتهما وقصتهما تأثير، ولو بسيط، على مجريات الأحداث؟

دعي أحمد ومنى لإلقاء كلمة أمام مؤتمر دولي للسلام. وقفا على المنصة، أمام قادة العالم

والصحفيين. تحدث أحمد عن وحشية الحرب، وعن كيف أنها تسرق الأرواح والأحلام. وتحدثت منى عن قوة الحب والإنسانية، وعن كيف أن الموسيقى والكلمات يمكن أن تبني جسوراً حيث تفشل الدبابات. كانت كلماتهما بسيطة لكن عميقة، لامست قلوب الحاضرين.

قال أحمد نحن لم ننتصر في المعركة، بل انتصرنا على أنفسنا وعلى كرهنا. إذا استطعنا نحن، الجندي والفتاة من معسكرين متحاربين، أن نحب بعضنا البعض، فلماذا لا تستطيع دولنا أن تفعل الشيء نفسه؟ صفق الحضور طويلاً، وكانت لحظة فارقة في المؤتمر. رغم أن الهدنة كانت مؤقتة وهشة، إلا أنها كانت بداية لطريق طويل نحو السلام الحقيقي. شعر أحمد ومنى بأن رسالتهما قد بدأت تصل، وأن بذور الأمل التي زرعاها بدأت تنبت.

الفصل التاسع عشر الوردة الأخيرة

مرت الأشهر، وتحولت الهدنة المؤقتة إلى مفاوضات جادة للسلام الدائم. كان أحمد ومنى يعملان بلا كلل كسفراء للسلام، يزوران المناطق المنكوبة، ويلتقيان بالضحايا من الطرفين. في إحدى زياراتهما إلى وادي أزور، المكان الذي التقيا فيه لأول مرة، وجدا أن الحرب قد دمرت كل شيء، إلا شجرة ورد برية واحدة نبتت بين الأنقاض.

توقفا أمام الشجرة، وتأملَا الوردة الحمراء الوحيدة التي تفتحت عليها. قال أحمد انظري يا منى، إنها نفس الوردة التي أعطيتني إياها في أول لقاء لنا. ابتسمت منى، وقالت الحياة تجد دائماً طريقاً للنمو، حتى في أكثر الأماكن قسوة. هذه الوردة هي رمز لأملنا، ولحبنا، ولكل من يؤمن بأن السلام ممكن.

قطف أحمد الوردة بلطف، وقدمها لمنى. قال هذه الوردة الأخيرة من أرض الحرب، ستكون الأولى في حديقة سلامنا. غرسا الوردة معاً في أصيص، وقررا

الاحتفاظ بها في منزلهما الجديد كذكرى دائمة. كانت الوردة ترمز إلى نهاية الفصل المؤلم من حياتهما، وبداية فصل جديد مليء بالألوان الزاهية والعطور الذكية. كانا يعرفان أن الطريق لا يزال طويلاً، لكن وجودهما معاً يجعل كل خطوة سهلة وممتعة.

الفصل العشرون سلام من فوق الغيوم

بعد عامين من المعاناة والكفاح، تم توقيع اتفاقية سلام تاريخية بين الدولتين المتعاديتين. انتهت الحرب رسمياً، وبدأت عملية إعادة الإعمار. احتفل الناس في الشوارع، ورفعوا أعلام السلام. كان أحمد ومنى يقفان على شرفة منزلهما المطل على البحر، ينظران إلى الأفق البعيد.

قال أحمد لقد فعلناها يا منى. انتهى الكابوس. ردت منى وهي تسند رأسها على كتفه نعم، انتهى. لكن عملنا لم ينتهِ بعد. علينا أن نضمن ألا تتكرر هذه

المأساة للأجيال القادمة. نظرا إلى بعضهما البعض، وعرفا أن حبهما كان الشرارة التي أشعلت فتيل التغيير، أو على الأقل ساهمت في تلين القلوب القاسية.

رفعا نظريهما إلى السماء، حيث كانت الطيور تحلق بحرية، دون خوف من الرصاص. قال أحمد سلام من فوق الغيوم، يا منى. ابتسمت وقالت سلام من قلوبنا، يا أحمد. عانق كل منهما الآخر، وشعرا بسعادة غامرة. لقد انتصر الحب على الحرب، وانتصر الإنسان على الوحش الذي بداخله. كانت قصتهما ستُروى للأجيال القادمة كدليل على أن الأمل لا يموت أبداً، وأن الحب هو القوة الأعظم في الكون.

الخاتمة

هكذا تنتهي قصة أحمد ومنى، لكن رسالتهما تبقى خالدة. إنها قصة تذكرنا بأن وراء كل جندي هناك

إنسان، ووراء كل عدو محتمل هناك قلب قادر على الحب. الحرب قد تدمر المدن وتزهق الأرواح، لكنها تعجز عن قتل الأمل ما دام هناك من يؤمن بالحب والسلام. لنكن جميعاً مثل أحمد ومنى، جسوراً للتفاهم، ووروداً في مرمى البنادق، وصوتاً للعقل حين يصمت الجهل.

بيانات المؤلف

الدكتور محمد كمال عرفة الرخاوي

باحث ومستشار قانوني دولي وخبير وفقيه ومؤلف قانوني ومحاضر دولي في القانون

مصر - الإسماعيلية

2026

تم بحمد الله وتوفيقه